بين مصر والهند

للأستاذ أبي الحسنات محمد محيي الدين

كلما درسنا تاريخ قدماء المصريين وتاريخ الهنود القدماء ، لاحظنا وجوه التشابه بينهما ظاهرة وواضحة . لذلك نورد هذا البحث عساه يكون موضع إمعان واهتمام لدى علماء مصر والهند

الديانة المصرية القديمة

تعتمد العقيدة الرسمية عند قدماء المصريين على أسطورة قديمة ترجع إلى ما قبل التاريخ فى نسبتها ، وهى عقيدة الثالوث المقدس : (١) أوزيريس إله الإنبات والخصوبة أو إله النيل ، (٢) إيزيس إلهة الحكمة والتشريع . (٣) توت إله العلم والتدبير

ثم عرتها قوانين التحول والتدرج وانتقلت إلى عقيدة التاسوع المقدس بدل الثالوث المقدس وهى ترجع إلى القوى الطبيعية المؤثرة فى الكون وهى : (١) الماء . (٢) رع (الشمس) (٣) سرا (الهواء) . (٤) تيفينة (الفراغ) . (٥) جيب (الأرض) . (٦) توت (السماء) . (٧) أوزيريس (النيل) . (٨) إيزيس (الأرض الخصبة) . (٩) سيت (الأرض القاحلة) أو الصحراء (نيفتيس)

وقد أعطى المصريون لهذه الأشياء صفة الألوهية واعتقدوا أيضاً أن هناك ربًّا هو رب الأرباب وأطلقوا عليه اسم (تم) ، واستمرت الحال على ذلك حتى جاء عهد (مينا) الأول فأعلن أن الإلهين (حوريس) خليفة (أوزيريس) فى الألوهية و (سيت) عمه وخصمه فى دعوى الألوهية قد حلاّ فى جسده وابتدأ تأليه الملوك (الفراعنة) . ولم يستمر الفراعنة موضع القداسة لحلول الإلهين فقط ، بل ارتقى فرعون وصار يحل فيه (رع) كبير الآلهة

ثم تحولت عقيدة الحلول من الملك إلى الأجسام التى تتصل بالخصب والإنتاج والبذر والأثمار والأحياء التى تمتاز بميزة يعرفها الفلاسفة والكهان ، فأحلوا آلهتهم أحياناً فى ثور (عجل أبيس) وأحياناً فى قط وأحياناً فى ثعبان وأحياناً فى تمساح

ولقد وصف بعض الكتاب هذه العبادة قال : « على هيا كل المعابد سجف منسوجة بالحرير ؛ فإذا تقدمت إلى نهاية المعابد لترى التمثال تقدم إليك كاهن فى سكينة ووقار وهو يرتل مزاميره فيزيح قليلاً من الستار ليريك الإله ، فلا ترى إلا قطاً أو تمساحاً أو ثعباناً أو حيواناً مؤذياً ، فكان إله المصريين دابة ملونة على بساط أرجواني »

هذه هى الديانة المصرية القديمة فى أدوارها المختلفة وتلك هى أهم عناصر تكوينها . وبجانب هذا نعرض على القارئين الكرام أهم نواحى الديانة الهندية القديمة لنقارن بين الديانتين فنقول :

الديانة الهندية القديمة

تدل الأسفار القديمة والآثار العتيقة التى ترجع نسبتها إلى ما قبل التاريخ على أن قوام الديانة الهندية القديمة هى القوى المؤثرة فى الكون وهى الأقانيم الثلاثة المكونة من (١) براهما (الشمس) الإله الخالق للكائنات وهو إله العلم والتدبير ، والحكمة والتشريع (٢) سيفا (النار) إله القضاء والسحر والفناء (٣) فشنو (الأرض) إله الرحمة والخصوبة والسقاية (الكنج وجمنا وبراهما بوترا وغيره من الأنهار المقدسة) ، ثم لم يلبثوا أن جسدوها واعتقدوا حلولها فى بعض الأجسام فأقاموا التماثيل وعبدوا الأصنام لحلولها فيها فتعددت آلهتهم حتى بلغت ستة وثلاثين من الماء (الأنهار) والهواء والسماء والشمس والأرض الخصبة والقاحلة والأشجار والأثمار وغيرها من الأجرام الأرضية والسماوية فأحلوا آلهتهم فى الأحياء التى تتصل بالخصب والإنتاج والبذور والأثمار والأجسام التى لاحظوا فيها ميزة فعبدوا الحيوانات المخيفة المؤذية كتنين مفزع وتمساح هائل مخيف وعبدوا البقر والفيل وهلم جرا

كل هذه الأشياء قد بلغت إلى درجة الألوهية فى نظرهم ، لهذا أقاموا لعبادتها معابد وصوامع وزينوها على النمط المبين فى وصف الكاتب المؤرخ للمعابد المصرية وهيا كلها . واستمرت الحال على ذلك حتى اعتقدوا أن بعض آلهتهم حلت فى جسم الإنسان وهو الملك ، ومن ثم ابتدأت عقيدة تقديس الملوك أو حلول اللاهوت فى الناسوت ، ولا تزال هذه العقيدة باقية فى كثير من نواحى الهند كبلاد الأراكن وجزيرة برما وتيبار فى شرق البنغال وآسام وغيرها من المناطق التى يدين سكانها بتأليه الملوك . واعتقدوا أيضاً أن هناك إله الآلهة وسموه (آتما) ، أى الإله الأكبر

هذه إلمامة موجزة لما فى الديانتين القديمتين من التشابه ، وهو من الوجهة الدينية ، وكذلك الحال من الوجهة الاجتماعية العامة من الأخلاق والآداب والعادات والتقاليد ، كما لا يخفى على الباحث المدقق والدارس المحقق

يتساءل الباحث ما هو وجه التشابه بين الديانتين القديمتين ؟ وهل كانت هناك بين الأمتين علاقة دينية أو ثقافية أو اجتماعية ؟ وهل كانت أسباب المواصلات بينهما متوافرة ؟ أم كانت هناك جماعة رحالة طاب لها المقام فاستقرت أم ضاق بها المعاش فانتشرت ؟ أم طردها العدو فالتجأت ؟ وحملت معها الديانة والمدنية والحضارة والثقافة والتقاليد والعادات وغيرها من المقومات الضرورية للحياة ، فعلى هذا أين كان موطنها الأصلي ؟ مصر ، أم الهند ؟ وما الذى دفعها للنزوح إلى ما وراء البحار ؟

كل هذه الأسئلة تمر بخاطر الدارس من غير شك ، ومفتاحها تصفح التواريخ السيكولوجية للأمتين للبحث عن نفسيتهما وعقليتهما وميزاتهما التى تمثل أصل حضارتهما ، وتتبع النقوش فى المعابد التى لم يؤثر فيها كر الغداة ومر العشى ، وكل ذلك يشير إلى أن فى طيات ذلك الدفين الذى لم ينشر بعد من قبره حضارة زاهية اشتركت فى تكوينها جميع أفراد هاتين الأمتين[1] بيد أن أكثر تلك الآثار لا تزال مبهمة ولم يبين كنهها ، ولا يزال البحث جارياً لكشف ذلك ، وقد أخذت الأسباب تتوافر ومادة الاستقراء تتكون بفضل الأجهزة العلمية الحديثة . وها نحن أولاء ندعو علماء مصر والهند للتعاون على هذا الموضوع التاريخى . فهل من مجيب ؟

أبو الحسنات محمد محيى الدين
« طاغور » الهندى

(١) أخبر ثقة جليل القدر أنه قرأ أن جماعة من أهل صعيد مصر رحلت إلى الهند واستوطنت جنوب الدكن بمملكة حيدر أباد فى حين أن جماعة أخرى من الوجه البحرى اقتدت بهم ونزلت فى الشمال الغربى والشمال الشرقى للهند ، واستدل كاتب ذلك بأن الآثار التى اكتشفت حديثاً فى بلاد الدكن على جانب كبير من الشبه بآثار الصعيد المصرى ، وكذلك تقسيمهم وعوائدهم . وكذلك أهل الوجه البحرى أيضا الذين اختاروا لهم البلاد الواقعة بالشمال الغربى والشمال الشرقى ، والمملوءة بالأنهار والمحيطة بالبحار الكثيرة ، إلا أن الغزاة الفاتحين من التتار والمغول قد تغلبوا على الكثير من عوائدهم على مر الزمان

خواطر فى الحرب

للأستاذ محمد عرفة

أخير هذه الحرب القائمة أم شر ؟ إن هذا السؤال يبدو غريباً ، إذ كيف يتراءى أحد فى أن هذه الحرب جمعت من الرزايا والنكبات ما تقشعر من هوله الأبدان ! هذه دماء سفكت ، وبيوت دمرت ، ومئات الآلاف من السكان أصبحوا لا يجدون مأوى يأوون إليه ، وهذه أقوات وأرزاق قد سلطت عليها النيران فالتهمتها ، وأصبح فريق عظيم لا يجد الطعام . هذه شعوب كانت حرة فاستعبدت ، ومن هذه الشعوب شعوب كان فى إطلاقها وحريتها مجال فسيح لابتكار ما يفيد المدنية ، وفى استعبادها وقيودها الفكرية ما يعطل هذا الانتاج

هذه أمور ظاهرة لا تجعل مجالاً للشك فى أن الحرب نكبة عالمية ، ولكن على الرغم من ذلك أتساءل أخير هى أم شر ؟ وأزيد فأقول إنها ربما تكون خيراً ، وربما تكون شراً : تكون خيراً إذا رأى المتحاربون ويلات ما صنعت الحرب ، وأنه يمكن التخلص منها ، إذا علم أسبابها واجتنبت ، وأن سببها هو إحلال قانون القوة فى الأمم محل قانون العدل

إذا علم المتحاربون ما فى قانون القوة من قدرة على إضرام الحرب وسعوا للتخلص منه ، كانت هذه الحرب التى أثمرت هذه الثمرة بركة على الناس . إن من الشعوب التى غلبت على أمرها فى هذه الحرب شعوباً كانت تعامل شعوباً أخرى بهذا القانون ، فكانت تغزوها ، فإذا تغلبت عليها فرضت عليها إرادتها ، ثم تمنعها أسباب الرقى العقلى والخلقى ، لأنها تخاف إذا هى ترقت فى هاتين استنارت وطلبت الخلاص ، وربما نالته ، وكانت لا تشعر بجرم ما تعمل ، لأنها تعمل ذلك فى غيرها . وقد دار دولاب الأيام ، ووقعت هذه الأمم فى قبضة غيرها ، وعوملت بقانون القوة ، وسقيت بالكأس التى كانت تسقى بها ، فوجدت لذلك ألماً ، وعندها ربما تدرك سوء ما كانت تفعل مع الأمم الأخرى وتستنكره ، فتنكر قانون القوة ، وتعرف قانون العدل فيخسر قانون القوة بعض الأنصار ، ويكسب قانون العدل ناصراً جديداً . وفى هذا الاحتمال أيضاً خير عظيم ، لأنه خطوة واسعة فى سبيل السلام

محمد عرفة